ملابسات هذه الانقسامات، على صعيد التداخل العربي. وهي القضية التي نرغب في ان نختم هذا البحث بها، عبر التطرق اليها بايجاز.

تجدد مشروع الهيمنة السوري

ثلاث دول[٦٩]، اثنتان تبعدان، من الناحية الجغرافية، عن التماس مع اسرائيل، وواحدة تقع على هذا التماس، قيض لها ان تلعب دوراً بارزاً في الانقسامات التي عرفتها الحركة الوطنية الفلسطينية طوال العقدين الماضيين. وهذه الدول هي: سوريا، العراق، وليبيا. اما ما يجمع ما بين هذه الدول الثلاث، فهو التقاء هذه الدول على تبني الايديولوجيا القومية، باعتبارها المشروعية التي تستمد منها هذه الدول الثلاث مبررهها في الحكم. أما الجانب الآخر ـ الاهم ـ الذي يجمع فيما بينها، فهو اشتراكها في تلك المحاولات التي بدأت، فعلياً، بعد تراجع الدور المصري للعب دور اقليمي في المنطقة كتعويض عن الفراغ المصري.

والواقع ان حزب «البعث» في العراق، كان الاسبق، من الناحية الموضوعية والتاريخية، عدا عن امتلاكه للامكانات، للعب دور اقليمي بارز بعيد العام ١٩٧٤. فمنذ اواسط السبعينات حتى العام ١٩٨٠، كان العراق تمكن من انجاز «نهضة» اقتصادية، وعمرانية، وقوة عسكرية، بصورة لافتة؛ وهي البنية الاساسية اللازمة كقاعدة انطلاق لأي سياسة تطمح للعب دور مؤثر في منطقة بدأت تشكو من غياب زعامة اقليمية. ويمكن القول ان هدفين رئيسين كانا على جدول اعمال القيادة العراقية في ذلك الوقت: الاول، الاتجاه غرباً «لشل حركة القيادة السورية داخلياً وخارجياً لاسقاطها واعادة الجناح القومي من حزب البعث الى الحكم»[٧٠]، أي لتوحيد حزب البعث والسيطرة على سوريا؛ اما الثاني، فكان الاتجاه نحو الجنوب، لانشاء قاعدة نفوذ في منطقة الخليج العربي. ولكن كما أظهرت التجربة، فان أي سعي اقليمي عربي لا يمكن له ان يحقق الفعالية المرجوة، طالما بقي بعيداً من اطار التماس مع «القضية المركزية القومية»، أي القضية الفلسطينية؛ وربما كان هذا احد اقدار الثورة الفلسطينية ان كل مسعى عربي اقليمي يجب ان يصطدم بها. ويمكن القول ان هدفاً ثالثاً يتوازى مع الهدفين السابقين، كان يسعى العراق الى تحقيقه، وهو يتمثل في السعي الى ايجاد موطىء نفوذ على الساحة الفلسطينية يستطيع، من خلاله، ممارسة التأثير على منظمة التحرير الفلسطينية، وهذا ما أخذ يتضح، بصورة اساسية، عبر النشاط العراقي المكثف بعيد العام ١٩٧٣، لاستقطاب تحالفات فلسطينية ولبنانية، وهو ما انتهى، عملياً، الى تشكيل «جبهة الرفض» بزعامة الجبهة الشعبية، التي ذهبت الى حد اعتبار تحالفها مع العراق، وحزب «البعث»، تحالفاً استراتيجياً. وقد ذهب العراق، في الصراع المكشوف مع منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها، الى حد اللجوء الى الوسائل العسكرية، والتصفيات الجسدية، التي ذهب ضحيتها بعض كوادر م.ت.ف. في عدد من الدول الاوروبية.

ولكن يبدو ان عوامل سياسية وجغرافية متضافرة التقت الى الانتهاء بالمحاولة العراقية الى الفشل. ربما كان ذلك يجد تفسيره، الى حد ما، في البعد الجغرافي للعراق من حدود التماس مع لبنان، الذي كان يشكل، في ذلك الوقت، قاعدة التواجد الرئيسة لقوة المنظمة، بحيث ادى ذلك الى التخفيف من الآثار السلبية للمحاولة العراقية؛ الا ان التفسير الادق، يعود في الحقيقة، الى اسباب سياسية، تتعلق بالمتغيرات التي حدثت في ذلك الوقت في المنطقة. وابرزها:

١ ـ زيارة انور السادات للقدس، وتوقيع النظام المصري على اتفاقية كامب ديفيد. وقد كان من نتائج هذا الحدث اعادة قلب التوازنات والتحالفات على الصعيد العربي، ولا سيما على صعيد العلاقات الفلسطينية ـ السورية، والسورية ـ اللبنانية.